# الجزء السابع والعشرون

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧) .

بسم الله الرحمن الرحيم

## شرح المفردات

الخطب : الشأن الخطير ؛ أى فما شأنكم الذى أرسلتم لأجله سوى البشارة ، إلى قوم مجرمين : هم قوم لوط ، من طين: أى من طين متحجر، وهو السجيل، مسومة : أى معلّمة من السُّومة وهى العلامة ، للمسرفين : أى المجاوزين الحد فى الفجور ، من المؤمنين : أى ممن آمن بلوط ، غير بيت : أى غير أهل بيت ؛ والمراد بهم لوط وابنتاه ، آية : أى علامة دالة على ما أصابهم من العذاب .

## المعنى الجملى

تقدم أن قلنا غير مرة إن الذين قسموا القرآن إلى أجزائه الثلاثين نظروا إلى العدّ اللفظى ولم يُعْنَوْا بالنظر إلى الترتيب المعنوى ، ومن ثم تجد جزءا قد انتهى وبدئ بآخر أثناء القصة كما هنا .

فبعد أن بشر الملائكةُ إبراهيم عليه السلام بالغلام — سألهم ما شأنكم وما الذى جئتم لأجله ؟ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم لوط لنهلكهم بحجارة من سجيل بها علامة تدل على أنها أعدت لإهلاكهم ، ثم نأمر من كان فيها من المؤمنين بالخروج من القرية حتى لايلحقهم العذاب الذى سيصيب الباقين ، وسنترك فيها علامة تدل على ما أصابهم من الرجز جزاء فسوقهم وخروجهم من طاعة ربهم .

## الإيضاح

( قال فما خطبكم أيها المرسلون ) أى قال إبراهيم لهؤلاء الملائكة : ما شأنكم ؟ وفيم أرسلتم ؟ وجاء فى سورة هود : « فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ . إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ . يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ » .

فأجابوه عما سأل :

( قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين . لنرسل عليهم حجارة من طين . مسومة عند ربك للمسرفين ) أى قالوا له : إنا أرسلنا إلى قوم لوط بالعذاب لإجرامهم ، وسنلقى عليهم حجارة من طين مطبوخ كالآجرّ وهى فى الصلابة كالحجارة ، وفيها علامات أعدت لهلاك المسرفين .

ولما أراد سبحانه أن يهلك المجرمين ميّز عنهم المؤمنين وأبعدهم منهم كما قال :

( فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين )

أى بعد أن ذهبت رسلنا إلى قوم لوط ووقعت بينهم و بينهم محاورات لم يدْعُ الحال إلى ذكرها هنا — أخرجوا من كان فى القرى من المؤمنين تخليصا لهم من العذاب ولم يجدوا فيها سوى بيت واحد أسلم وجهه لله ظاهرا و باطنا ، وانقاد لأوامره واجتنب نواهيه ، وهو بيت لوط ابن أخى إبراهيم عليه السلام .

عن سعيد بن جبير قال : كانوا ثلاثة عشر .

قال أبو مسلم الأصفهانى : الإسلام الاستسلام لأمر الله والانقياد لحكمه ، فكل مؤمن مسلم ، ومن ذلك قوله تعالى : « قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا » .

وقد أوضح الحديث الشريف الفرق بينهما ، فجاء فى الصحيحين وغيرهما من طرق عدة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الإسلام فقال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتحج البيت ، وتصوم رمضان. وسئل عن الإيمان؟ فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره» .

( وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ) أى وجعلناها عبرة بما أنزلنا بها من العذاب والنكال وحجارة السجيل ، وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة وهى بحيرة طبرية ، لتكون ذكرى لمن يخشى الله ويخاف عذابه .

وفى الآية إيماء إلى أن الكفر متى غلب والفسق إذا انتشر لا تنفع معه عبادة المؤمنين ، أما إذا كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون و يفجرون ، فإن الله لا يأخذ الكثرة الصالحة بذنب العدد القليل من الفاجرين .

---

وَفِى مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِى الْيَمِّ

وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٥) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤٦).

## شرح المفردات

بسلطان مبين : أى بحجة واضحة هى معجزاته الظاهرة كاليد والعصا ، والركن: مايركن إليه الشيء ويتقوّى به ، والمراد هنا جنوده وأعوانه ووزراؤه كما جاء فى سورة هود «أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» ، فأخذناه : أى أخذ غضب وانتقام ، نبذناهم : أى طرحناهم ، فى اليمّ : أى فى البحر ، مليم : أى آت بما يلام عليه ، والعقيم : أى التى لاخير فيها ولا بركة ، فلا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا ، سميت : عقيما لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم ، الرميم : البالى من عظم ونبات وغير ذلك ، فعتوا : أى فاستكبروا عن الامتثال ، والصاعقة: نار تنزل بالاحتكاك كالكهربية، منتصرين: أى ممتنعين من عذاب الله بغيرهم ممن أهلكهم ، فاسقين : أى خارجين من طاعة الله ، متجاوزين حدوده .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر ما كان من قوم لوط من الفسوق والعصيان ، وما أصابهم من الهلاك جزاء وفاقا لما اجترحوا من السيئات تسلية لرسوله على مايرى من قومه — عطف على ذلك قصص جمع آخرين من الأنبياء لقوا من أقوامهم من الشدائد مثل ما لقى هذا الرسول الكريم ، فحقت على أقوامهم كلمة ربهم ونزل بهم عذاب

الاستئصال وصاروا كأمس الدابر عبرة ومثلا للآخرين ، فذكر أنه أرسل موسى إلى فرعون بشيرا ونذيرا فأبى واستكبر واعتزّ بقوته وجنده ، وقال أنا ربكم الأعلى ، فأغرق هو وقومه فى البحر. وأرسل شعيبا إلى عاد فكذبوه فأهلكهم بريح صرصر عاتية . وأرسل صالحا إلى ثمود فكذبوه فأخذتهم الصاعقة ولم تبق منهم أحدا ، و بعث نوحا إلى قومه فلم يستجيبوا لدعوته فأخذهم الطوفان وهم ظالمون .

## الإيضاح

( وفى موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين . فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون ) أى وفى قصص موسى عبرة لقوم يعقلون ، إذ أرسلناه إلى فرعون بحجج ظاهرة وآيات باهرة، فأعرض ونأى وكذب بما جاء به معتزا بجنده وقوته وجبروته ، وقد بلغ الأمر به أن قال: أنا ربكم الأعلى ، وقال حينا لقومه فى شأن موسى : « إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ» ، وحينا آخر «إِنَّهُ لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ » . وما مقصده من هذا إلا صرفهم عن النظر والتأمل فيما جاءه به من الآيات ، خوفا على ملكه أن ينهار ، وعلى دولته أن يلحقها الدمار ، وإبقاء على ماله من النفوذ والسلطان فى البلاد .

ثم ذكر جزاءه هو وقومه على ماصنع فقال :

( فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليمّ وهو مليم ) أى فألقينا فرعون وجنوده فى البحر وهو آتٍ بما يلام عليه من الكفر والطغيان .

وفى هذا إيماء إلى عظمة القدرة على إذلال الجبابرة وسوء عاقبتهم جزاء عتوهم واستكبارهم وعصيانهم أمر خالقهم .

ثم ذكر قصص عاد فقال :

( وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ماتذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ) أى وفى عاد آية لكل ذى لبّ ، إذ أرسلنا عليهم ريحا صرصرا عاتية

لم تبق منهم ديّارا ولا نافخ نار ، ولا تركت شيئا من الأبنية والعروش إلا جعلته كالشيء الهالك البالى .

و بعدئذ ذكر قصص ثمود فقال :

( وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين . فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ) أى وفى ثمود عظة لمن تدبر وفكر فى آيات ربه ، إذ قال لهم نبيهم : « تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ » ثم يحل بكم من العذاب مالا قِبَل لكم به ، فكذبوه واستكبروا وعتوا عن أمر ربهم فأرسل عليهم صاعقة من السماء أهلكتهم جميعا وهم ينظرون إليها — جزاء ما اكتسبت أيديهم من الآثام ، وارتكاب الخطايا والأوزار .

( فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ) أى فما استطاعوا هربا ولم يجدوا مفرًّا ولا نصيرا يدفع عنهم عذاب الله .

ثم ذكر موجزا لقصص قوم نوح فقال :

( وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين ) أى وأهلكنا قوم نوح بالطوفان قبل هؤلاء بسبب فسقهم وفجورهم وانتهاكهم حرمات الله .

---

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١) .

## شرح المفردات

الأيد والآد: القوة ، لموسعون : أى لذوسعة بخلقها وخلق غيرها؛ من الوسع بمعنى الطاقة ، فرشناها : أى بسطناها ومهدناها من مهدت الفراش إذا بسطته ووطأته ،

وتمهيد الأمور : تسويتها وإصلاحها ، ومن كل شيء : أى ومن كل جنس من الحيوان ، زوجين : أى ذكر وأنثى ، ففروا إلى الله : أى اعتصموا بحبل الله وأقروا بوحدانيته ، إنى لكم منه نذير مبين : أى إنى لكم من عقابه منذر ومخوّف .

## المعنى الجملى

بعد أن أثبت الحشر وأقام الأدلة على أنه كائن لامحالة — أرشد إلى وحدانية الله وعظيم قدرته ، فبين أنه خلق السماء بغير عمد ، وبسط الأرض ودحاها ، لتصلح لسكنى الإنسان والحيوان ، وخلق من كل نوع من أنواع الحيوان زوجين ذكرا وأنثى ، ليستمر بقاء الأنواع إلى أن يشاء الله فناء العالم ، ثم أمرهم أن يعتصموا بحبل الله وأنذرهم شديد عقابه ، وحذرهم أن يجعلوا مع الله نِدًّا وشريكا .

## الإيضاح

( والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ) أى ولقد بنينا السماء ببديع قدرتنا وعظيم سلطاننا ، وإنا لقادرون على ذلك لايمسنا نصب ولا لغوب .

وفى ذلك تعريض باليهود الذين قالوا : إن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع مستلقيا على عرشه .

( والأرض فرشناها ) أى ومهدنا الأرض وجعلناها صالحة لسكنى الإنسان والحيوان ، وجعلنا فيها الأرزاق والأقوات من الحيوان والنبات وغيرهما مما يكفل بقاءها إلى حين ، ووضعنا فيها من المعادن فى ظاهرها وباطنها مافيه زينة لكم ، فتبنون المساكن من حجارتها ، وتتخذون الحلىّ من ذهبها وفضتها وأحجارها الكريمة ، وتصنعون آلات الحرب والسفن والطائرات من حديدها ومعادنها الأخرى .

وفى الآية إشارة إلى أن دحو الأرض كان بعد خلق السماء ، لأن بناء البيت يكون قبل الفرش، وهذا مايثبته العلم الحديث الآن ، وقد تقدم ذكر ذلك غير مرة.

ثم مدح سبحانه نفسه على ماصنع فقال :

( فنعم الماهدون ) أى فنعم مافعلنا ، وما أجمل ماخلقنا ، مما فيه عظة لمن يتذكر ويتدبر .

( ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ) أى وإنا خلقنا لكل ماخلقنا من الخلق ثانيا له ، مخالفا له فى مبناه والمراد منه ، وكل منهما زوج للآخر ، فخلقنا السعادة والشقاوة، والهدى والضلال ، والليل والنهار، والسماء والأرض، والسواد والبياض — لتتذكروا وتعتبروا فتعلموا أن الله ربكم الذى ينبغى لكم أن تعبدوه وحده لاشريك له — هو الذى يقدر على خلق الشىء وخلافه ، وابتداع زوجين من كل شىء ، لا مالا يقدر على ذلك .

( ففرّوا إلى الله ) أى فالجئوا إلى الله واعتمدوا عليه فى جميع أموركم ، واتبعوا أوامره ، واعملوا على طاعته ، ثم علل الأمر بالفرار إليه بقوله :

( إنى لكم منه نذير مبين ) أى إنى لكم نذير من الله أنذركم عقابه ، وأخوفكم عذابه الذى أحله بهؤلاء الأمم التى قص عليكم قصصها، وإنى مبيّن لكم مايجب عليكم أن تحذروه .

ثم ذكر أعظم مايجب أن يفر المرء منه ، وهو الشرك فقال :

( ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر ) أى ولا تجعلوا مع معبودكم الذى خلقكم معبودا آخر سواه ، فإن العبادة لاتصلح لغيره .

ثم علل هذا النهى بقوله :

( إنى لكم منه نذير مبين ) أى إنى لكم نذير ومخوف من عقابه على عبادتكم غيره .

ونحو الآية قوله تعالى : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

---

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلاَ يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠) .

## شرح المفردات

فتول عنهم : أى أعرض عن جدلهم ، وذكر : أى دم على التذكير والموعظة ، إلا ليعبدون : أى إلا لآمرهم بعبادتى لا لاحتياجى إليهم ، المتين : أى الشديد القوة ، ذنوبا : أى نصيبا من العذاب ، وأصل الذنوب : الدلو العظيمة الممتلئة ماء ، أصحابهم : أى نظرائهم ، فويل للذين كفروا : أى هلاك لهم .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن هؤلاء المشركين فى قول مختلف مضطرب لايلتئم بعضه مع بعض ، فبينما هم يقولون : خالق السموات والأرض هو الله إذا بهم يعبدون الأصنام والأوثان ؛ وطورا يقولون محمد ساحر ، وطورا آخر يقولون هو كاهن إلى نحو ذلك .

قفّى على ذلك بأن ذكر أن قومه ليسوا بدعا فى الأمم ، فكما كذبت قريش نبيها كذلك فعلت الأمم التى كذبت رسلها ، فأحل الله بهم نقمته كقوم نوح وعاد وثمود، ثم عجّب من حالهم وقال : أتواصى بعضهم مع بعض بذلك ، ثم قال لا بل هم قوم طغاة متعدّون حدود الله لا يأتمرون بأمره ولا ينتهون بنهيه ، ثم أمر رسوله أن يُعْرِض عن جدلهم ومرائهم ، فإنه قد بلّغ ما أُمِر به ولم يقصر فيه ، فلا يلام على ذلك ، وأن يذكّر من تنفعه الذكرى ولديه استعداد لقبول الإرشاد والهداية ، ثم أردف هذا بأن ذكر أنه ماخلق الجن والإنس إلا ليأمرهم ويكلفهم بعبادته ، لا لاحتياجه إليهم فى تحصيل رزق ولا إحضار طعام ، فالله هو الرزاق ذو القوة . ثم ختم السورة بتهديد أهل مكة بأنه سيصيبهم من العذاب مثل ما أصاب من قبلهم من الأمم السالفة ، فأولى لهم ألا يستعجلوه بقولهم : «مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» ، فقد حقت عليهم كلمة ربك فى اليوم الذى يوعدون ، وسيقع عليهم من العذاب ما لامردّ له ، ولا يجدون له دافعاً .

## الإيضاح

( كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ) أى كما كذبك قومك من قريش وقالوا ساحر أو مجنون — فعلت الأمم التى كذبت رسلها من قبلهم وقالوا مثل مقالتهم ، فهم ليسوا ببدع فى الأمم ، ولا أنت ببدع فى الرسل ، فكلهم قد كُذِّبُوا وأوذوا فصبروا حتى أتاهم نصر الله .

وفى هذا تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم على احتمال الأذى والإعراض عن جدلهم ، فإنهم قد أبطرتهم النعمة وغرّهم الإمهال ، فلا تجدى فيهم العظة ولا تنفعهم الذكرى .

ثم تعجب من إجماعهم على إنكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقال :

(أتواصوا به ؟) أى أألوصى أولهم آخرهم بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك منهم ؟

ثم عدل عن أنَّ الذى جمعهم على هذا القول هو التواصى ، إلى أن الذى جمعهم على ذلك هو الطغيان فقال :

( بل هم قوم طاغون ) أى بل الذى جمعهم على ذلك هو الطغيان وتجاوز حدود الدين والعقل ، فقال متأخرهم مثل مقالة متقدمهم .

ثم سلى رسوله بقوله :

( فتول عنهم فما أنت بملوم ) أى فأعرض عنهم أيها الرسول ، ولا تأسف على تخلفهم عن الإسلام فإنك لم تأل جهدا فى الدعوة ، وهم مازادوا إلا عتوا واستكبارا ، وطغيانا و إعراضاً .

( وذكِّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ) أى دم على العظة والنصح ، فإن الذكرى تنفع من فى قلوبهم استعداد للهداية والرشاد .

أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والبيهقى وجماعة من طريق مجاهد عن على كرم الله وجهه قال : لما نزلت « فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ » لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلكة، إذ أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنا ، فنزلت « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » فطابت أنفسنا .

و بعد أن بين حالهم فى التكذيب ذكر سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الذى خلقهم للعبادة بقوله :

( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ) أى وما خلقتهم إلا ليعرفونى ، إذ لولا خلقهم لم يعرفوا وجودى ولا توحيدى ، يرشد إلى ذلك ما جاء فى الحديث القدسى « كنتُ كنزا مخفيا فأردت أن أعْرَف ، فخلقت الخلق فبى عرفونى » قاله مجاهد ، وروى عنه أيضا أن المعنى: إلا لآمرهم وأنهاهم، و يدل عليه قوله : « وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلٰهًا وَاحِدًا لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ » واختاره الزجاج ،

ويرى جمع من المفسرين أن المعنى : إلا ليخضعوا لى ويتذللوا ، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله ، متذلل لمشيئته ، منقاد لما قدره عليه ، خلقهم على ما أراد ، ورزقهم كما قضى ، لايملك أحد منهم لنفسه نفعا ولا ضرا .

وهذه الجملة مؤكدة للأمر بالتذكير وفيها تعليل له ، فإن خلقهم لما ذكر يدعوه إلى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ .

ثم ذكر أن شأنه مع عبيده ليس كشأن السادة مع عبيدهم فقال :

( ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ) أى إننى ما أريد أن أستعين بهم لجلب منفعة ولا دفع مضرة ، فلا أصرّفهم فى تحصيل الأرزاق والمطاعم كما يفعل الموالى مع عبيدهم .

ثم علل هذا بقوله :

( إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ) أى إنه تعالى غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه فى جميع أحوالهم ، لأنه خالقهم ورازقهم ، وهو ذو القدرة والقوة الغالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لايعلمون .

روى أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى : يابن آدم تفرغْ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسدّ فقرك ، وإلاّ تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسدّ فقرك» .

ولما أقسم سبحانه على الصدق فى وعيدهم — أخبر بإيقاع هـذا الوعيد بهم يوم القيامة فقال :

( فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم ) أى فإن للذين ظلموا أنفسهم بإشتغالهم بغير ما خلقوا له من العبادة ، وإشراكهم بالله عز وجل وتكذيبهم رسوله نصيبا من العذاب مثل نصيب نظرائهم من الأمم السالفة التى كذبت رسلها .

( فلا يستعجلون ) أى فلا يطلبوا منى أن أعجل بالإتيان به ، فإنى لا أخاف

الفوت ، ولا يلحقنى عجز ، وهذا جواب عن قولهم : « فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ » .

ونحو الآية قوله : « أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ » .

( فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون ) أى فويل لهم من حلول ذلك العذاب الذى وُعِدوه يوم القيامة حين لاتغنى نفس عن نفس شيئا ولاهم ينصرون .

## خلاصة ماتضمنته السورة الكريمة

( ١ ) دلائل البعث من العجائب الطبيعية والعلوم النفسية .

( ٢ ) جزاء المتقين بما يلقونه من النعيم يوم القيامة .

( ٣ ) أخبار الأمم السالفة التى كذبت رسلها .

( ٤ ) تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من أذى قومه .

( ٥ ) الفرار إلى الله من هذه الدنيا المحفوفة بالمخاطر .

( ٦ ) النهى عن الإشراك بالله .

( ٧ ) إخبار رسوله بأن قومه ليسوا ببدع فى التكذيب بك فقد كذب رسل من قبلك .

( ٨ ) أمره صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم وتذكير من تنفعه الذكرى من المؤمنين .

( ٩ ) إخباره بأن الله ماخلق الجن والإنس إلا ليعبدوه .

(١٠) وعيد الكافرين بأن العذاب سيحل بهم يوم القيامة .

(١١) إن المشركين سينالهم نصيب من العذاب مثل نصيب نظرائهم من المكذبين .